الرياض

جولة خادم الحرمين والمستقبل

غازي العريضي

لا شك في أن ثمة أحداثاً كثيرة في المنطقة من العراق ومأزق السياسة الأميركية فيها وتداعياتها الخطيرة، الى فلسطين وانتخاباتها وأبعادها وانعكاساتها على موازين القوى الفلسطينية وبالتالي على القرار الفلسطيني بعد ميل عدد من الدول لمنع حركة حماس من المشاركة والتهديد بتعطيل الانتخابات، ثم ميل الى منعها من الفوز الحاسم في الانتخابات، الى لبنان والتطورات الدراماتيكية فيه والمآزق المختلفة والمعارك المتنوعة التي تشهدها البلاد منذ جريمة اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري ورفاقه خصوصاً، وهي بدأت مع فرض التمديد لرئيس الجمهورية اميل لحود في ايلول 2004 الماضي، الى سوريا وأخطائها في لبنان والعراق ومع العالم أجمع وعزلتها ونتائجها، وصولاً الى ايران ومفاعلها النووي وسياساتها في هذا الملف وغيره ومفاعيلها على مستوى المنطقة ككل، مروراً بأوضاع الخليج، ومصر انتخاباتها،... لكن ثمة أمراً مهماً استراتيجياً ينبغي التوقف عنده في هذه المرحلة بالذات يتجسّد في الزيارات التاريخية التي قام ويقوم بها الملك عبدالله بن عبد العزيز الى كل من الصين والهند وماليزيا.

لقد كتبت أكثر من مرة عن الصين، داعياً العرب الى مزيد من التعاون معها، والتبادل التجاري والاقتصادي والتفكير بروح من المسؤولية والقراءة المستقبلية للتحولات التي يعيشها العالم ودور الصين الحاضر والمستقبلي وهي تكوّن إحدى ابرز القوى إن لم تكن أول القوى في العقود المقبلة في تقرير مصير العالم. إنها العملاق الذي ينمو بقوة وعناية والذي يشكل قوة استراتيجية. وبالتالي كنت دائماً أتطلع الى سياسة عربية منفتحة مبادرة لبناء علاقات معها وتجنب مخاطر الآحادية التي جسدتها بكل اشكالها الخطيرة السياسة الأميركية في العقد الأخير والتي لا تزال تتمسك بها إدارة الرئيس بوش رغم النتائج الكارثية التي حلت بالعالم من جراء تجاهل القوى الدولية الأخرى وإسقاط منطق الشراكة والتعاون.

ومعروف ان للصين دوراً فاعلاً في العالم ليس فقط في مجلس الأمن الدولي ونحن بحاجة الى علاقات جيدة معها، بل ايضاً في محافل دولية أخرى وعلى المستويين السياسي والاقتصادي إضافة الى ما تمثله من ثقل بشري هائل. ولذلك فإن زيارة الملك عبدالله والاتفاقيات التي وقعها مع القيادة الصينية قد تؤسس لعلاقات صينية - سعودية، وصينية - خليجية، وصينية - عربية جيدة وهي تشكل خطوة متقدمة في إطار رؤية استراتيجية لموازين القوى في العالم في المرحلة المقبلة وكذلك للخيارات التي يمكن ان تتاح أمام دول مثل دولنا. والعالم العربي بقيادة السعودية يملك إمكانات مالية وبشرية كبيرة ايضاً ويمكن من خلال الاستثمار والتعاون الاقتصادي أن يكون ثمة مصالح كبيرة بيننا وبين الصين وأن يعزز تلك المصالح السياسية العليا لاسيما وأن الصين ليست بعيدة عن قضايانا تاريخياً أو عن منطقتنا بل كانت دائماً مؤيدة للقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني.. ولكن بدا في الفترة الأخيرة أن ثمة عملاً اسرائيلياً حثيثاً للتعاون مع الصين وصولاً الى حد تبادل الخبرات العسكرية وبيع الصين معدات عسكرية أميركية وقد سبب ذلك أزمة لاسرائيل مع واشنطن، ومع ذلك استمرت في تعزيز علاقاتها على كل المستويات، مما يعزز الحاجة والضرورة الى تعميق التنسيق والتعاون العربي معها.

أما الهند فهي أيضاً دولة كبيرة مهمة متروكة للأسف من قبل العالم العربي على كل المستويات رغم الملايين من العمال الهنود الذين ينتشرون في عدد من الدول العربية لكن ذلك ليس عاملاً كافياً لتطوير العلاقات بل يشعر بعض الدول أن هذا الأمر قد يشكل خطراً على الاستقرار فيها على المدى البعيد. والهند دولة ديموقراطية راقية. لديها امكانات هائلة، وقوة بشرية كبيرة وقدرات تقنية عالية وتنقصها بعض الحاجات وبالتالي يمكن للتعاون العربي - الهندي أن يشكل إطاراً آخر من أطر التنسيق والتكامل وتحقيق التوازن على الساحة الدولية. وتجدر الإشارة هنا الى ان اسرائيل قد سبقت العرب أيضاً الى الهند وثمة تعاون اسرائيلي هندي متعدد الوجوه والمجالات، وكان ينبغي ان يبادر العرب منذ زمن طويل الى تصحيح علاقاتهم وتصويب سياساتهم لاسيما وأن الهند والصين وقعتا

مع روسيا بياناً يدعو الى قيام نظام متعدد الأقطاب يكرس التعاون بين دول العالم ويسقط منطق التفرد والسيطرة على المنظمات الدولية والاقتصاد العالمي وغير ذلك. وهذا الأمر يساعد العرب كثيراً ويفسح المجال أمامهم لاعتماد خيارات عديدة متنوعة.

من هذا المنطلق، فإن زيارة العاهل السعودي خادم الحرمين الشريفين الى الهند ايضاً بعد الصين تندرج في سياق رؤية استراتيجية، ويجب أن تكون بداية سياسة جديدة تفيد العرب وقضاياهم. ولا شك في ان مجالات التعاون مع الهند كبيرة وبالتالي يمكن ان تكون الاتفاقيات والعلاقات التي ستنمو على أساسها باباً لمزيد من التفاعل والتطوير.

إن الصين والهند هما دولتان كبيرتان أساسيتان في رسم مستقبل العالم. والعرب لا يجوز إلا أن يكونوا جزءاً فاعلاً في ذلك وهم قادرون ولو فاتتهم حتى الآن فرص كثيرة لكن التجارب تعلم واعتقد أن العاهل السعودي مدرك تماماً لتجربة السنوات الأخيرة التي كرست أحادية الولايات المتحدة الأميركية في القرار الدولي.

ومن الصين والهند الى ماليزيا الدولة «النمر» الكبير، التي خاضت تجربة اقتصادية مهمة جعلت منها دولة متقدمة ونموذجية على المستوى الدولي. لاسيما وأنها دولة اسلامية كبرى واستطاعت ان تقدم صورة مشتركة عن الاسلام والمسلمين وقدراتهم وحضورهم وتطورهم وآفاقهم المستقبلية وجهوزيتهم ليكونوا جزءاً من حركة التطور والتقدم الاجتماعي في العالم.

إن علاقات قوية بين المملكة العربية السعودية وماليزيا، وتكاملاً بين طاقات وإمكانات البلدين يعزز وحدة وحضور ودور وموقع وتأثير المسلمين في العالم من جهة، وإذا ما تكامل مع الشراكة السعودية ـ الصينية، والسعودية ـ الهندية، ومع توسيع دائرة التعاون مع القوة الدولية الأخرى، فإن لذلك أثرا مهماً على مستقبلنا وعلى قضايانا من جهة أخرى.

ولا بد من التذكير أن خادم الحرمين الشريفين وقبل أن يصبح في هذا الموقع الرسمي كان قد قام بزيارة هامة الى موسكو وأسس لعلاقات استراتيجية بين السعودية وروسيا وتلك كانت البداية. أتذكر هنا حركة الرئيس الشهيد رفيق الحريري الذي انطلق من المملكة العربية السعودية الى رئاسة الحكومة اللبنانية وجال في اتجاه روسيا والصين والهند وكانت له علاقات مميزة مع ماليزيا وغيرها من الدول. وأعتقد أن ذلك كان في سياق نظرة استراتيجية صائبة أثبتت أهميتها.

الملك عبدالله بن عبد العزيز بزيارته الأخيرة يرسي قواعد حركة سياسية جديدة ورؤية استراتيجية مهمة، آمل أن تظهر نتائجها قريباً وأن تتكرس في المدى القريب وتتوسع دائرتها لتشمل دولاً عربية أخرى علّنا نستعيد شيئاً من دورنا الأساسي في العالم ونلتقط الفرصة قبل فوات الأوان.